تقـــديم

للمرأة فى هذه المجموعة حصة الأســد ، لأنها تشتمل على رسـائل مدام سيڤينى ، وقصة شارلوت برونتى ، وسـيرة الملـكة فكتوريا ، وشخصية هيدا جابلر أشهر بطلات الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى تخصص فى مسرحياته لدراسة الشخصيات النسوية ، وختامها بحث فى كتاب الفيلسوف الانجليزى چون ستيوارت مل عن حقوق النسـاء فى القانون وفى الدستور .

واختصاص المرأة بالقسط الأوفر فى موضوعات هـــذه المجموعة لا يمنع أن تكون على المألوف منها منوعة متعددة الجوانب بأكثر من معنى واحد ، لأن تعدد جوانبها قد يتناول الكتّاب ومواطنهم كما يتناول الكتب وموضوعاتها .

ففيها تعليق على أدب الرسالة ، وتعليق على أدب القصة ، وتعليق على أدب المسرحية ، وفيها عدا ذلك الملم بالسيرة التاريخية والملم بمباحث الاجتماع وحقوق الانسان .

ومن مؤلفيها كاتبـــة فرنسية ، وأديبة ارلندية ، وروائى نرويجى ، ومؤرخ وفيلسوف انجليزيان .

وأهم خصـــائص المجموعة ـ كما عرف فى عنوان مكتبة الجد أن مؤلفاتها ثبتت لامتحان جيلين على الاقل أو عدة أجيال، يقرؤها الجد ثم الأبن والحفيد ، وقد يكون مؤلفها من أبناء عصر قديم ولكنه من أبناء الفكر الانسانى الخالد الذى لا يحده بلد ولا زمن ، وصبغته الانسانية ـ من ثم ـ أبقى له والصق به من صبغة موطنه وعصره .

وكل هذه المؤلفات متداول فى العصر الحاضر بين قرأء اللغات الأوربية على درجات متفاوتة من التداول ، وعلى اختلاف فى الذوق والتقـــدير

حسب اختلاف القراء ، ولكنها كلها من الآثار الأدبية التى كتب لها أن تتخطى امتحان الجيل الواحد وتكتسب لها حقا فى تاريخ الأدب أثبت من حق الزى الطارىء والعرف الموقوت .

ان قراءة الرسائل بقلم مدام دى سيڤينى تنقلنا الى العصر الذى تجمعت فيه جراثيم الثورة الفرنسية الكبرى ، وقد نرى الكاتبة النبيلة فى جميع رسائلها مستغرقة فى نطاق تلك الطبقة الأرستقراطية التى ولدت فيها وعاشت بين أبنائها وبناتها ، ولكنها اذا وصفتهم فى حجرات القصر ومن وراء المظاهر والتقاليد فانما تصفهم « ذوات بشرية » كسائر أبناء آدم وحواء ، وتصفهم وهم معرضون للسخرية والاشفاق كما تصفهم وهم عاطلون من حلل الأبهة والخيلاء ، وكلهم — وهو عاطل من مظاهره — خليق أن يلتبس على الناظرين اليه وراء ذلك الستار الطارىء الذى تنسجه تقاليد الطبقة وانماط المعيشة المتقلبة بين الامس واليوم .

والفتاة « جين اير » بطلة القصة التى خلقتها شارلوت برونتى هى هى شارلوت برونتى نفسها كما خلقها الله . وما أعجب شارلوت برونتى نفسها من مخلوق انسانى فى الصميم !

ان القارىء لينسى القصة وشخوصها وهو يلتفت من العمل الأدبى الى مؤلفته والى الشخوص التى أحدقت بها فى حياتها القصيرة ، وأولاها بالالتفات شخوص أبيها وأمها وأخواتها ، وكل من عاش منهن قد نبغ فى فنه وقضى فى زهرة الشباب ، وزود الدنيا بمثل من أمثلة الكفاح مع الفاقة والسقم والخمول أعجب من أمثلة الخيال .

وتطالعنا فى المجموعة سيرة الملكة فكتوريا فنطلع منها على حياة « امرأة انسانة » تخلع عنها التاج لتشارك جميع بنات حواء فى حصتهن المقدورة لهن من فضيلة الأنوثة وضعفها . وقد كان وزيرها لورد بيكنسفيلد يقول انه أفلح فى خدمة هذه الملكة من حيث أخفق زميله ومناظره غلادستون ، لأنه كان يعاملها معاملة امرأة ولا يعاملها كزميلة

ومناظرة معاملة الملكات ذوات التيجـــان . وجاء « ليتون ستراشى » « فطبق » هذه القاعدة فى صفحات الترجمة كما طبقها بيكنسفيلد فى ديوان الوزارة ، وسمى من أجل ذلك بامام مدرسة التفريغ التى تسلمت فن التراجم والسير من مدرسة التقديس «والتطويب» . . . لأنها «تفرغ» التمثال الانسانى من حشو التكاليف والمراســـم وتبقى له « هيكلا » مجردا يدخل به الى ذمة التاريخ كما يدخـــل الكائن الحى الى حجرة « التشخيص » أو يدخل الجسد الميت الى مائدة التشريح ، وقد تسلبه بهذا التفريغ بعض زينته التى ينظر اليها الفنان ، ولكنها لا تعطيه فوق حقه عند الطبيب الخبير ولا عند المسجل الأمين .

* * *

ويعرف قراءة « أبسن » أنه أشهر المؤلفين المسرحيين «بالبطلات» أو بالشخصيات النسوية ، ومنهن « شخصيات » قد انتقلن من المسرح الى الحياة ، فأصبح الناس يذكرونهن كأنهن النماذج الحية التى تتلبس بهذه « الانسانة » أو تلك الانسانة بين القريبات والغريبات من نســاء البيوت ، ونساء المجالس المعهودة .

وهيدا جابلر أقوى هذه الشخصيات وأشهرها وأبغضها على الاطلاق . . . وهى ـ على هذا ـ انسانة معهودة تكررت فى الدنيا من قبل وتتكرر فيها بعد اليوم كلما تكررت تربتها التى تنبتها ، وهى « انســانة » حقــا فى صورتهــا التى ينبغى أن تكون عليها ، لأنها تريـنـــا كيف تسلب المرأة « انسانيتها » اذا اســتبدلت بجمال التضحية الانثوية رذيلة الأنانيــة المضللة يغذيها الغرور والصلف وتنميها فتنة الاغراء والغواية ، فلا تقدر على شىء غير الهلاك والاهلاك ، واهلاك نفسها مع أقرب الناس اليهــا وأولاهم بمحبتها .

أما كتاب چون ستيوارت مل عن استرقاق المرأة ، و «السيادة» على النساء فخلاصته أنه ـ وهو فيلسوف الديمقراطية ـ لم يشأ أن ينسى أن المرأة « انســان » بعد أن وقف حياته وقلمه على تقديس حقوق

الانسان ... فهو منطقى « مع نفسه لا يزيد على تصحيح قضايا المنطق » كعادته ، حين يطلب للمرأة خلاصا (قانونيا) من ربقة الرق ، فى عصر يتفق ابناؤه على تحريم الرقيق بنصوص القوانين والدساتير .

وبهذا التنويع تجرى هذه المجموعة على سنة أخواتها السابقات فى الدعوة الى المعرفة ، وتتحرى - مثلهن - أن تكون دعوتها الى معرفة واسعة الأفق متعددة المقاييس ، وان ظفر موضوع المرأة منها بحصة الأسد - كما أسلفنا فى صدر هذا التقديم .

عباس محمود العقاد